﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: 50]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

كأنَّ المعنى: قد جئتكم بآية مصدِّقًا، فبعد أن عدّدَ سبحانه المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام وفصَّل في ذِكرها، بيّن في هذه الآية أنَّ رسالته هي مصدِّقة للتوراة التي جاء بها موسى مبيِّنًا بعض ما جاء به من التشريعات، والتخفيف على بني إسرائيل بأن أحلَّ لهم بعض ما حرّم عليهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: جذر الكلمة هو: (صَدَق)، والصِّدْق: نَقيض الكذب، سُمِّيَ بذلِكَ لِقُوَّتِه في نَفْسِه، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، هُوَ بَاطِلٌ. وَأَصْلُ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ شَيْءٌ صَدْقٌ، أَيْ صُلْبٌ. ويقال للرجل الجواد، والفرس الجواد: إنَّه لذو مَصْدَقٍ، أي: صادِقُ الحملة، وصَدَقْتَه: قلت له: صِدْقًا، وكذلك من الوعيد، إذا أوقعتهم؛ قلت: صَدَقْتُهم، وهذا رجل صِدقٍ، مضاف، بمعنى: نعم الرجل هو، وامرأة صِدْقٍ، وقوم صِدْقٍ، فإذا نَعَتَّه؛ قلت: هو الرجل الصَّدْقُ، وهي الصَّدْقَةُ، وقوم صَدْقُونَ، ونساء صَدْقاتٌ[1]، والصَّدقُ: الكامل من كُلِّ شيء، والصِّدِّيق: من يُصَدِّقُ بكلِّ أمر الله ونبيِّه، لا يتخالجُه شكٌّ في شيء[2].

والمعنى هنا: مؤمنًا بِأنَّ جَميعَ ما في التوراة حِكْمَةٌ وصَوابٌ.

2) ﴿وَأَطِيعُونِ﴾: جذر الكلمة هو: (طَوَع)، الطَّوْعُ: الانقيادُ[3]، ويُضادُّه الكَرْهُ، قَالَ الله عزّ وجلّ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: 11][4]، وأطاع يطيع إطاعة، وأطاع الله: انقاد له، فعل ما

(1) الخليل، العَين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (صدق).
(2) الخليل، العَين: (صدق).
(3) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (طوع).
(4) الراغب، المفردات، الزَّبيدي، تَاجُ العَرُوس: (طوع).

أمره به، أذعن له، وخضع لإرادته وحكمه، وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النّساء: 80]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ [النّساء: 81]، وقوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر: 18].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

صفات رسالة عيسى عليه السلام

تجلِّي الآيةُ الكريمةُ صفةَ رسالة عيسى عليه السلام بكونه مصدِّقًا لما تقدَّمه من التوراة المُنَزَّلة على موسى، مؤمنًا بما جاءَ فيها ومقرِّرًا لها، وممَّا جئتكم به التخفيفُ إذ أُحِلَّ لكم - بوحي من الله - بعضَ ما حُرِّم عليكم في شريعة موسى عليه السلام كلُحوم الإبلِ والشُّحوم؛ تخفيفًا من الله ورحمة بكم، وجئتكم بآياتٍ من ربكم تعلمون بها صِدْق رسالتي، وأعاد ذكر المعجزاتِ ليكون كلامُه ناجعًا في قلوبهم ومؤثِّرًا في طباعهم، فاتقوا الله ولا تخالفوا أمره، وأطيعوني فيما أبلغكم به عن الله[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الوصل في الآية:

مُعجزات عيسى عليه السلام جاءت تصديقًا للتَّوراة

قوله: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ عطف؛ إمَّا على المضمر الذي تعلَّق به قوله: ﴿بِـَٔايَةٖ﴾، والمعنى: قد جئتكم محتجًّا أو متلبِّسًا بآية، ومصدِّقًا، وإمَّا أن يكون معطوفًا على ﴿وَرَسُولًا﴾ أي: وأرسلت رسولًا ومصدِّقًا، ويجوز أن يكون منصوبًا بفعل دلَّ عليه ﴿قَدۡ جِئۡتُكُم﴾، أي: وجئتكم مصدِّقًا، ومعنى تصديقه للتوراة: الإيمان بها؛ وإن كانت شريعته تخالف في أشياء، قال وهب بن منبه: كان يسبتُ، ويستقبلُ بيت المقدس[2]، وفي التَّصديق تثبيتٌ وتقرير، وكما قال الفخر الرازيُّ: وإنَّما حسن حذف هذه الألفاظ لدلالة الكلام عليها، وعلى كلِّ تقدير يَرِدُ معنًى، وكلُّها تتعانق، لا تتعاند.

(1) ابنُ الجوزيِّ، زاد المَسير: 1/285، والرازي، مفاتيح الغيب: 8/63، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 56.

(2) أبو حيَّان، البحر المُحيط: 3/167.

علَّة دخول اللَّام على المفعول:

دخـــول الـــلَّام عـــلى المـفـعـول لـلـتـقـويـة، والـدَّلالـة على تصديقٍ مُثبت محقَّق لا شكّ فيه

المصدِّق في قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾، المخبرُ بصِدق غيره، وأُدخلت اللّام على المفعول للتقوية؛ للدَّلالة على تصديقٍ مُثبت محقَّق، أي: مصدِّقًا تصديقًا، لا يشوبُه شكٌّ، ولا نِسبةٌ إلى خطأ.

بلاغة الاستعارة التمثيلية:

وجـه التّمثيل استـعـارة هيئة لـهـيـئـة؛ نـقـلاً لغير المحسوس إلى المحسوس

معنى قوله: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ ما تقدَّم قبلي؛ لأنَّ المتقدِّم السَّابق يمشي بين يدي الجائي، فهو هنا تمثيل لحالة السَّبق؛ وإن كان بينه وبين نزول التوراة أزمنة طويلة؛ لأنَّها لمَّا اتَّصل العمل بها إلى مَجيئه، فكأنَّها لم تسبقه بزمن طويل، ويستعمل بين يديّ كذا في معنى: المشاهَد الحاضر[1]، والتمثيل هنا على سبيل الاستعارة التمثيليَّة، فهي استعارة هيئة لهيئة؛ نقلاً لغير المحسوس إلى المحسوس، وفيه تجسيد للمعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: 255]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: 110].

سرُّ اختصاص التوراة بالذِّكر:

مـــن مـهـمـات إرســـال عـيـسـى عليه السلام تـقـريـر الـتـوراة، وإزالـة ما أثير عليها من شبهات

سرَّ اختصاص التوراة بالذكر في قوله: ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ بيانُ إرسال المسيح عليه السلام تقريرَ التوراة، وإزالةَ شبهات المنكرين وتحريفات الجاهلين.

و﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ للتبعيض، لسبب ما أحدثوا عليه من التَّحريف؛ فإمَّا أن يكون المعنى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾، أي: مُصحِّحًا لما حرَّفتموه من التَّوراة، أو أن يكون ﴿وَمُصَدِّقًا﴾، بمعنى: العمل برسالة موسى عليه السلام وهي التَّوراة الصحيحة التي علَّمني إيَّاها ربِّي؛ فيكون التَّصديق بإعادة إحياء ما اندثر من أحكامها بفعل ما حُرِّف، وبُدِّل، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: 41].

(1) ابنُ عَاشُور، التَّحريرُ والتَّنوير: 3/252.

بلاغة تأويل ما يبدو فيه التناقض:

في تحليل بعض ما حرَّمه الله عليهم؛ رعيٌ لحالهم في أزمنة مختلفة

الظاهر أنَّ هذه الجملة: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ مناقضة لما قبلها وهو قوله: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾؛ لأنَّها صريحة في أنَّ عيسى عليه السلام جاء؛ ليحلَّ بعض الذي كان محرَّمًا عليهم في التوراة، وهذا يقتضي أن يكون حكمه بخلاف حكم التوراة، وهذا يناقض قوله: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ﴾ والجوابُ: أنَّ في ذلك تنبيهًا على أنَّ النَّسخ لا ينافي التصديق؛ لأنَّ النَّسخ إعلام بتغيُّر الحكم، وانحصرت شريعة عيسى في إحياء أحكام التوراة وما تركوه فيها، وهو في هذا كغيره من أنبياء بني إسرائيل، وفي تحليل بعض ما حرَّمه الله عليهم؛ رعيًا لحالهم في أزمنة مختلفة، وبهذا كان رَسُولًا، والظاهر أنَّه لم يحرِّم عليهم ما حلَّل لهم[1]، والظاهر أنَّ المراد ما حرَّمه الله على اليهود عقوبة لهم، كما أبان عنه قوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: 160]، وذلك مبنيٌّ على أنَّ النَّاسخ والمنسوخ، كلاهما حقٌّ وصدقٌ.

بلاغة العطف في جملة التحليل والتحريم:

الجملةُ آية من الله على نبوَّة عيسى؛ إذ جاء بالتخفيف فيما كان فيه تشديد

عطف قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ على ﴿وَرَسُولًا﴾ وما بعده من الأحوال؛ لأنَّ الحال تشبه العلَّة؛ إذ هي قيد لعاملها، فإذا كان التقييد على معنى التعليل شابه المفعول لأجله، وشابه المجرور بلام التعليل؛ فصحَّ أن يعطف عليها مجرور بلام التعليل، قاله ابن عاشور، ويمكن أن يكون التقدير: وجئتكم لأحلَّ، فيكون من باب عطف الجملة على الجملة، وهذا البناء - الذي يجعل التيسير علَّةً - آيةٌ من الله على نبوَّة عيسى؛ إذ جاء بالتيسير، والتّخفيف فيما كان فيه تشديد؛ وفي ذلك ترغيب للمدعوين.

(1) ابنُ عَاشُور، التَّحريرُ والتَّنوير: 3/252.

قصديّة تبعيض المحرَّم:

إيثار لفظ (بعض) مناسبٌ لطبيعة النَّسخ، في أنَّه يكون في بعض الأحكام

اصطفاء كلمة ﴿بَعۡضَ﴾ مفعولاً به متّسقٌ مع طبيعة النَّسخ، وأنَّه يكون في بعض الأحكام، وأنَّ فيه مطابقة الواقع ومراعاة الأحوال؛ وفي البسط في وصف المفعول باسم الموصول وصلته إظهار للتيسير، وكان يمكن أن يقال: بعض المحرَّم عليكم، لكنَّه بيان لعظم التيسير مع كونه واقعًا على البعض.

توجيه بناء الفعل ﴿حُرِّمَ﴾ للمفعول:

في البناء للمعلوم إطلاقٌ للحُرمة ولحدود اشتمالها

بني الفعل ﴿حُرِّمَ﴾ في قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ للمفعول؛ ليشمل ما حرَّموه على أنفسهم ونسبوه إلى الله، وما حرَّمه الله عليهم عقوبة.

بديع المقابلة بين جملتَي التحليل والتحريم:

وجه المقابلة إظهار التخفيف عليهم بتخصيص النفع، وبيان ثقل الحرام

ومن بلاغة جملة ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ اشتمالها على المقابلة بين قوله: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾ و﴿حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، وهي تظهر التخفيف والتيسير جليًّا واضحًا فبضدِّها تتميَّز الأشياء، وترى التخفيف واضحًا في حرفي الجرّ، ﴿لَكُم﴾ تخصيصًا بالنفع، و﴿عَلَيۡكُمۡۚ﴾ بيانًا لثقل التحريم وعلوِّه على النفس.

بلاغة التَّكرار في قوله: ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾:

استحضار الأدلَّة الدّامغة في المُحاجَجات بغية الإقناع هي منهجيَّة الأنبياء والدُّعاة من بعدهم

وقوله: ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ تأكيدٌ لقوله الأول: ﴿أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾. وإنَّمَا عطف بالواو؛ لأنَّهُ أريد أنْ يكون من جملة الأخبار المتقدِّمة، ويحصل التأكيد بمجرَّد تقدُّم مضمونه، فيكون لهذه الجملة اعتباران يجعلانها بمنزلة جملتين، وليُبْنى عليه التَّفريع في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1]. ويجوز أن يكون ﴿وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ كرِّرَت على سبيل التَّوكيد، أي: جئتكم

(1) ابنُ عَاشُور، التّحريرُ والتَّنوير: 3/253 - 254.

بآية بعد أخرى، مِمَّا ذكرت لكم؛ من خلق الطَّير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيَّات، وبغيره من ولادتي من غير أبٍ، ومن كلامي في المهد، وسائر الآيات، وقوله: ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تأكيدٌ لقوله الأولِ: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وإنَّما عطف بالواو؛ لأنَّه أريد أن يكون من جملة الأخبار المتقدِّمة[1].

دلالة الفاء وفعلي الأمر في جملة الفاصلة:

جاءت الفاء في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ تفريعًا على ما مضى، أو أنَّها الفاء المفصحة عن شرط مقدَّر، إن آمنتم؛ فاتقوا، وفيه من الإيجاز ما فيه.

المقصود من المعجزات وإرسال الرسل تلبية أوامر الله وأوامر رسوله

وغاير النظم الحكيم بين الأمر في جنب الله والأمر في جنب المسيح عليه السلام فالأمر في جنب الله ﴿فَٱتَّقُواْ﴾، أي: اتقوا غضبه وسخطه وعذابه، وفيه من التحذير ما فيه، وفي جنب المسيح قال: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ والأصل: وأطيعوني، حذفت ياء المتكلم بعد نون الوقاية؛ مراعاةً للفواصل بين الآيات، وتحقيقًا للجَرْسِ والإيقاع الذي هو إحدى سمات القرآن وإعجازه، وهو نُصحٌ وإرشادٌ أَعْقَبَ التحذير، أي: وأطيعوني فيما دعوتكم إليه من تصديقي فيما أرسلني به إليكم[2]، فذكر الأمر المناسب لكلٍّ، وجاء خَتْمُ الآية مناسبًا للمعنى؛ إذ هو كالغاية من إرسال الرُّسل، وتأييدهم بالمعجزات القاهرات.

في حذف الياء بيانٌ لأدب الخطاب القرآنيّ مع الذّات الإلهيّة المقدّسة

في حذف ياء المتكلم من قوله ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ نكتة بلاغيّة تظهر أدب الخطاب النبويّ مع الذّات الإلهيّة جلّ اللّه في عُلاه؛ إذ حذف ياء المتكلم من فعل طلب الطاعة المعبّر عنه بصيغة الأمر؛ تجنّبًا للتلميح بتوجّه طاعتهم إليه، وقصرها عليه؛ ذلك أنّهم قوم يؤوّلون الواضحات، ويحرّفون البينات، فكيف بالمظنونات!

(1) ابنُ عَاشُور، التّحريرُ والتّنوير: 3/253.
(2) النَّسفيُّ، مدارك التَّنزِيل: 1/257.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»